مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٣

مهنة التدريس في التفكير الفلسفي الإسلامي.

د. محمد سيد محمد أحمد(*)

مقدمة:

تُعد مهنة التدريس من أوائل المهن التي عرفتها البشرية على مر تاريخها، فهي تضرب بجذورها منذ القدم من حيث الأصل والممارسة–غير أنها مُتجددة في أدواتها وأساليبها المتطورة من عصر إلى أخر– فمنذ أن وجد الإنسان على سطح الأرض وهو يُمارس مهنة التدريس، فقد مارسها في أبسط صورها وهو يقطن في الكهوف والوديان وكانت حينئذ تتسم بالبساطة في أسلوبها ومع مرور الزمان وكثرة البشرية وتعدد احتياجاتها شهدت مهنة التدريس تطورا واضحا في فترات مُتلاحقة، وقرون مُتتالية، وهذا التطور جاء كرد طبيعي لتطور الفكر الإنساني، فكلما تطور الفكر لدي الإنسان صحبه تطور في شتى المهن التي يمتهنها، ومنها مهنة التدريس والتي صار لها حضور قوي وأهمية ورسالة كبرى عمَا كانت عليها في العصور السالفة.

وتعتبر مهنة التدريس من أشرف المهن قاطبة التي يقوم بها الإنسان لأنها السبيل الرئيسي إلى تحصيل العلم وتلقينه، فهي المهنة التي تأخذ على عاتقها مهمة تبليغ ونشر العلم والثقافة في شتى أرجاء المجتمعات المُختلفة، ولذا فمردود هذه المهنة ونتائجها لا يعود على فرد بعينه بل يتعداه لكافة أفراد المجتمع.

وإذا كان التفكير الفلسفي في أبسط معانيه هو عبارة عن النظرة الكلية لحقائق الأشياء من خلال النظر العقلي المُجرد، وعليه فإن من أهم سمات هذا التفكير بيان جملة الحقائق الكبرى التي يتطلع العقل الإنساني إلى معرفتها ثم يقوم هذا التفكير بدوره من خلال رواده وأنصاره بتدريس هذه الحقائق لمن دونهم من أفراد مُجتمعاتهم.

من أجل هذا نالت مهنة التدريس اهتمام وعناية الفكر الفلسفي الإنساني عبر عصوره المُختلفة، ولقد امتد نطاق البحث فيها إلى معظم مراحله.

ولم يكن التفكير الفلسفي الإسلامي، وهو يُمثل واحدا من أهم مراحل سلسلة الفكر الفلسفي الإنساني بمنأى عن هذا الاهتمام بمهنة التدريس، فلقد شغلت هذه المهنة أذهان أنصار هذا التفكير من فلاسفة ومُتكلمين ومُتصوفة، فافردوا لها أبواباً خاصة في مؤلفاتهم ونالت كثيرا من طاولة مناقشاتهم، وهذه هي إشكالية هذا البحث.

(*) مدرس بقسم الفلسفة كلية الآداب جامعة أسيوط

إشكالية البحث:

لقد أهتم التفكير الفلسفي الإسلامي بالحديث عن مهنة التدريس منذ بواكيره الأولى ومرجع هذا يقين أنصار هذا التفكير إلى أن هذه المهنة جليلة القدر عظيمة الشأن ولا عجب في ذلك حيث أن عقيدتهم الإسلامية قد نظرت إلى مهنة التدريس والقائمين عليها نظرة إجلال وتقدير، وليس أدل على ذلك من جملة الأحاديث النبوية الكثيرة والتي جاءت في هذا الصدد، ومنها على سبيل المثال لا الحصر قوله صل الله عليه وسلم: إِنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ وملائِكتَهُ، وأهلَ السمواتِ والأرضِ، حتى النملةَ في جُحْرِها، وحتى الحوتَ، ليُصَلُّونَ على معلِّمِ الناسِ الخيرَ.(*) فمُعلم الناس الخير يدخل في معناه كل من يُعلم أو يُدرس الناس الخير.

إن جوهر التفكير الفلسفي في الإسلام نابع من أن الإسلام ليس مجرد شريعة ودين فحسب بل هو فلسفة مُتكاملة، ومنهج حياة شامل يدعو العقول لتحصيل العلم وتدريسه، ولذا حظت مهنة التدريس بمزيد من عناية التفكير الفلسفي الإسلامي، فلم يفُت أنصار هذا التفكير في إلقاء سهامهم في هذه المهنة من خلال بيان أهميتها كوسيلة عظيمة لنشر الأفكار من جيل إلى جيل ليس هذا فحسب بل إبداعهم فيها على المستويين النظري والعملي أما على المستوى النظري، فيظهر جلياً من خلال ابتكار أنصار هذا التفكير أساليب ومناهج جديدة لمهنة التدريس وأما على المستوى العملي فيكمُن في مراعاة أنصار هذا التفكير للعلاقة التضامنية لطرفي مهنة التدريس، وهما: القائم بهذه المهنة (المُدرس) والمُتلقي للتدريس (المُتعلم).

إن من يُمعن النظر في مسيرة التفكير الفلسفي الإسلامي المُمتدة منذ أوائل القرن التاسع الميلادي حتى أواخر القرن الثاني عشر الميلادي يجد بما لا يدع مجالاً للشك أن مهنة التدريس قد حظيت باهتمام أنصار هذا الفكر، والذين صنّفوا لها كتباً ورسائل خاصة على كافة مدارسه الفلسفية سواءً على صعيد مدرسة فلاسفة الإسلام أو مدرسة المُتكلمين أو مدرسة المُتصوفة، وقد كانت لهذه المدارس أفكار وتوجيهات عديدة تخص جوانب شتى من مهنة التدريس جديرة بالبحث والتنقيب عنها، وتأتي على صدارة هذه التوجيهات والأفكار بيان الغايات من التدريس وطرق تحقيقه بالوسائل الواضحة والمناسبة، وسلوكيات القائمين على مهنة التدريس والآداب الواجب توافرها فيهم.

ومن هنا تبدو إشكالية هذه الدراسة في محاولة الإجابة على السؤال الآتي: ما هي حدود اهتمام التفكير الفلسفي الإسلامي بمهنة التدريس؟

أهداف البحث:

١- الوقوف على آراء بعض فلاسفة الإسلام وبيان تصوراتهم حول مهنة التدريس.

٢- إبراز بعض آراء المُتكلمين حول مهنة التدريس.

٣-بيان اهتمام الفكر الصوفي بمهنة التدريس.

٤- إثبات شمولية التفكير الفلسفي الإسلامي وأصالته.

أهمية البحث:

لقد درج معظم المعنيون بدارسة التفكير الفلسفي الإسلامي على تعريفه على أنه ذلك التفكير الذي يدور في إطار تصور الإسلام ورؤيته حول الله جل في علاه والكون والإنسان غير أن التعريف الأعمّ لذلك التفكير يشتمل على جُل الآراء والتصورات الفلسفية التي قدّمها أنصار ذلك التفكير من فلاسفة ومُتكلمين ومُتصوفة خارج هذا الإطار، ومن أهم هذه الآراء والتصورات رؤية هذا التفكير لمهنة التدريس، ذلك التفكير الذي نظر إلى مهنة التدريس على أنها رسالة قبل أن تكون وظيفة أو مهنة للتكسّب، وتظل هذه الرسالة ضمن بوتقة العمل الديني الخالص لوجه الله سبحانه وتعالى، فقد أحاط هذا التفكير مهنة التدريس والقائمين عليها بمجموعة من الآداب التي تستند إلى مضمون روح الإسلام.

ومن هنا فإنه يمكننا القول: أن الناظر في التفكير الفلسفي الإسلامي يقف على إشارات مهمة تعكس إيمان هذا التفكير بأهمية مهنة التدريس.

وإذا كان هذا البحث يطمح في استجلاء مهنة التدريس في التفكير الفلسفي الإسلامي، فإن أهمية هذا البحث تبرز من جوانب عده أهمها:

أولاً: يُعد تناول مهنة التدريس في التفكير الفلسفي الإسلامي بابا من أبواب إحياء هذا الإرث الفلسفي والتنقيب عمّا فيه من آراء يُمكننا الاستفادة منها في واقعنا المعاصر، لاسيما في مجال أهم المهن قاطبة مهنة التدريس وذلك لأن الحاضر لا يستغني عن الماضي.

ثانياً: كونه من الأبحاث القليلة، التي أخذت على عاتقها التنقيب عن موضوعات هامة في تراثنا الفلسفي الإسلامي لم يتطرق إليه العديد من المُختصين، فالعجيب أن العديد ممّن جَرَّدَ قلمه للكتابة في التراث الفلسفي الإسلامي قد تغافل عن ذكر اهتمام هذا التراث بمهنة التدريس وهنا تكمن أهمية هذا البحث.

محاور البحث:

انقسم هذا البحث إلى ثلاثة محاور بالإضافة إلى المقدمة، وأخيراً جاءت خاتمة البحث وعرض فيها الباحث أهم النتائج التي توصل إليها، أما عن محاور البحث، فجاءت على النحو التالي:

المحور الأول: مهنة التدريس عند فلاسفة الإسلام.

المحور الثاني: مهنة التدريس عند المُتكلمين.
المحور الثالث: مهنة التدريس عند المُتصوفة.

منهج البحث:

أما عن منهج البحث فإننا نؤثر هنا في معالجتنا لموضوع هذا البحث انتهاج المنهج الاستقرائي في جمع المادة العلمية ثم المنهج الاستنباطي في استنباط التأصيل الفلسفي لمهنة التدريس في التفكير الفلسفي الإسلامي؛ حيث يعدّانُ -من وجهة نظر الباحث- من أنسب المناهج وأشدها ملائمة لطبيعة الموضوع وغايات البحث.

أولا:- مهنة التدريس عند فلاسفة الإسلام

إن المُدقق في هذا الكم الهائل الذي خلّفه لنا فلاسفة الإسلام-على اختلاف أفكارهم ومناهجهم- من مؤلفات يلحظ بما لا يدعو مجالا للشك اهتمامهم بالحديث عن مهنة التدريس، ويظهر ذلك جليا من خلال افرادهم قسطاً وافراً من هذه المؤلفات للحديث عن هذه المهنة، وقبل أن نتطرق في بيان اهتمام فلاسفة الإسلام بمهنة التدريس نؤد أن نشير إلى ثلاثة نقاط:

النقطة الأولى: هي أن فلاسفة الإسلام الذين أفردوا مساحة في مؤلفاتهم للحديث عن مهنة التدريس كانوا على وعي تام بأهمية التدريس الفعّال في بيئاتهم الإسلامية.

النقطة الثانية: وهي أن فلاسفة الإسلام لم يقصروا مهمة القائمين على مهنة التدريس على مجرد تدريسهم للعلوم والمعارف للتلاميذ فحسب بل يقع على عاتقهم أيضا مسؤوليات أخرى من بينها غرس القيم في نفوس هؤلاء التلاميذ.

النقطة الثالثة: أن فلاسفة الإسلام قد سعوا من خلال أفكارهم وآرائهم في القضاء على جُمودية وملل مهنة التدريس وذلك من خلال تصوراتهم في تطوير أساليب هذه المهنة ليُصبح التدريس مُمتعا وسائغا الأمر الذي يترتب عليه رغبة الجميع واستحسانهم للتعلم والدراسة.

وإذا انتقلنا الآن لبيان مظاهر اهتمام فلاسفة الإسلام بمهنة التدريس، فيُمكننا القول: أن الدارس لتراثنا الفلسفي الإسلامي يجد أن هناك عددا ليس بالقليل من فلاسفة الإسلام قد اعتنوا بالحديث عن مهنة التدريس، ولا يسع المقام هنا بعرضهم جميعا، وبناءً عليه وطبقا للغايات والأهداف المرجوة من هذا البحث سنقوم بدورنا في هذا المحور بإلقاء الضوء على نماذج من فلاسفة الإسلام ممُن كانت لهم بصمات واضحة في هذا الصدد.

ونستهل تلك النماذج بالمعلم الثاني"الفارابي" (٣٣٩-٢٦٠هـ) والذي يُعد واحدا من أبرز فلاسفة الإسلام اهتماما بالحديث عن مهنة التدريس، وقد كانت له بصمات بارزة في هذا الصدد،

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٣

ويُمكننا تلمُس ذلك من خلال استقرائنا لمؤلفه (إحصاء العلوم) فالشائع أن هذا الكتاب مُجرد بحث في تصنيف العلوم وترتيبها غير أن المُمعن في هذا الكتاب يجد أن "الفارابي" كان يرمي من خلال هذا الكتاب إلى عمل منهج مُتكامل لكيفية تدريس شتى أنواع العلوم سواءً العلوم الدينية والتي قوامها النقل(القرآن والسنة)أو العلوم الوافدة إلى البيئة الإسلامية، ويقصد بها علوم الفلسفة اليونانية، وقد كان "للفارابي" السبق من بين فلاسفة الإسلام في عمل منهجا مُتكاملا لتدريس العلوم، وقد قدّم فيه تدريس المنطق على سائر العلوم لأن علم المنطق كما يقول "الفارابي": "يعطي جملة القوانين التي شأنها أن تُقوم العقل وتُسدد الإنسان نحو طريق الصواب".(١)

وقد كان لهذا المنهج في تدريس العلوم الذي اقترحه "الفارابي" عظيم الأثر ليس فقط في مؤلفات من جاء بعده من فلاسفة وعلماء في العالم الإسلامي بل امتد أثره إلى المؤلفين والمُصنفين من أهل القرون الوسطى في العالم الغربي، ولا يسمح المقام هنا بعرض هذا الأثر(*)، فطبقا للأهداف المرجوة من هذا البحث ما يعنيننا في هذا الصدد هو بيان مظاهر اهتمام "الفارابي" بمهنة التدريس.

وأولى مظاهر اهتمام "الفارابي" بمهنة التدريس نجده في كتابه (البرهان) حيث يُشير إلى أن استعمال الطرق الخاطئة في التدريس يحول من التمييز الصحيح بين مختلف السُبل الضرورية لاكتساب المعرفة والعادات والمهارات والطباع كما يؤكد على أن دقة الاصطلاح مطلبٌ رئيسي في التدريس أو التعليم؛ لأنّ وضوح العبارة ثمرته وضوح الفكرة مما يترتب عليه جودة التدريس وحسنُه. (٢)

وبخصوص مهارات عملية التدريس فإننا نجد "الفارابي" يقول: إلى أن التعليم أو التدريس قد يكون بسماع وقد يكون باحتذاء–باقتداء– والذي بسماع هو الذي يستعمل المُعلم فيه القول، والذي يكون باحتذاء هو الذي يرى المُتعلم المعلم بحالٍ ما في فعل أو غيره، فيتشبه به في ذلك الشيء أو يفعل مثل فعله، فيحصل للمتعلم القوة على ذلك الشيء أو الفعل.(٣)

وفي إشارة أخرى لمظاهر اهتمام "الفارابي" بمهنة التدريس نجده يُفرد قسطا من الحديث عن مسئوليات ومهام القائمين على هذه المهنة، فيؤكد على أن مسؤولية المُدرس هي تبسيط المعارف المُراد تدريسها للطلاب وذلك عن طريق بيان حدّها وخصائصها والمعارف الشبيهة لها وهذه الأمور من شأنها النفع كما يقول "الفارابي": في جودة الفهم وفي حفظ الشيء". (٤)

وفي إشارة أخيرة من مظاهر اهتمام "الفارابي"(*) بمهنة التدريس نجده يُقدّم مجموعة من الوصايا للقائمين على هذه المهنة، ومنها أن يشرح المُدرس المُقرر الذي سيُدرسه باستخدام مختلف وسائل الإيضاح ويُبسط ويشير إلى ما يماثله نوعاً أو شكلاً مُعتمدا في ذلك سبل وطرائق مثل

الترتيب والتصنيف والاستقراء والتمثيل والقياس؛ فهذه كلها تساعد التلميذ على التآلف مع موضوع الدراسة، وتُسهّل عليه فهمه، وبذلك تسهم في إغنائه بمعرفة أو فكرة، لذا فإن استعمال وسائل التدريس المتنوعة تسهّل على الأستاذ عمله في إثراء ذهن التلميذ بصورة أو فكرة عن شيء ما كان مجهولاً من قبل، وذلك مما يساعده في عملية التدريس علاوة على ذلك فإنه ييسّر للتلامذة اكتساب معلومات جديدة.

وإذا انتقلنا إلى علم أخر من أعلام فلاسفة الإسلام وهو الشيخ الرئيس "بن سينا"(٣٧٠-٤٢٧ه) فإننا نلاحظ أنه كان لمهنة التدريس حظاً وافرا من اهتماماته ويشهد على ذلك إنتاجه الفكري والذي يُشير إلى أن هذه المهنة كانت تُمثل جُزءاً غير مستقل عن نسقه الفكري، فلقد تناول الشيخ الرئيس في مؤلفاته جوانب متعددة تخص مهنة التدريس والقائمين عليها غير أنه أسهب في الحديث عن هذه المهنة في كتاب (السياسة) المنسوب له، ولذا اعتمد عليه الباحث في بيان مظاهر اهتمام "ابن سينا" بمهنة التدريس وذلك من خال النقاط التالية:

- وضعه منهج للعملية التدريسية للطلاب يقوم على دعامتين الأولى هي أن أول ما يستهل به الطالب دراسته هو القرآن الكريم وحروف الهجاء وفي هذا الصدد يقول "ابن سينا": "فإذا اشتدت مفاصل الصبي واستوى لسانه وتهيأ للتلقين ووعي سمعه أخذ في تعلم القرآن الكريم وصُور له حروف الهجاء ولُقّن معالم الدين".(٥)

أما الدعامة الثانية من المنهج التدريسي الذي اقترحه الشيخ الرئيس فتكمُن في أن يدرس الصبي الشعر ويستهل ما يدرسه من الشعر كما يقول "ابن سينا": "بما قيل في فضل الأدب ومدح العلم وذم الجهل وما حَثّ على بر الوالدين واصطناع المعروف وغير ذلك من مكارم الأخلاق."(٦)

- تأكيده على أن تدريس الطلاب يكون جماعي وليس فردي على يد مُدرس أو ما أطلق عليه "ابن سينا" مؤدب خاص والعلة من وراء ذلك كما يقول "ابن سينا": "أن انفراد الصبي الواحد بالمؤدِّب أجلب لضجرهما ولأن الصبيَّ عن الصبي ألقن وهو عنه آخَذُ وبه آنَسُ."(٧) ووجود الصبي في حلقات التدريس مع أقرانه من الصبيان يترتب عليه كما يقول "ابن سينا": إنه يُباهي الصبيان مرة ويغبطهم مرة ثم إنهم يترافقون ويتعاوَضون الحقوق، وكل ذلك من أسباب المباراة والمُباهلة والمحاكاة وفي ذلك تهذيب لأخلاقهم وتحريك لهِمَمِهم وتمرين لعاداتهم".(٨)

- وضُعه مجموعة من السمات والصفات التي ينبغي أن تتوافر في القائمين على مهنة التدريس ومنها كما يقول "ابن سينا": "ينبغي أن يكون مؤدب الصبي عاقلا ذا دين، بصيرا برياضة الأخلاق، صادقا بتخريج الصبيان، وقورا رزينا بعيدا عن الخفة والسخف، لبيبا قليل التبذل والاسترسال بحضرة الصبي، ذا مروءة ونظافة ونزاهه".(٩)

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٣

– مراعاته لميول الصبي في دراسته للصناعات والمهن المختلفة وتوجيهه نحو دراسة المهنة التي تتوافق مع ميوله وقدراته وفي هذا الصدد يقول "ابن سينا": "وينبغي لمُدبِّر الصبي إذا رام اختيار الصناعة أن يزِن أولًا طبع الصبي، ويسبر قريحته، ويختبر ذكاءه، فيختار له الصناعات بحسب ذلك".(١٠)

– وأخيرا لم يفُت ابن سينا أن يحُث في العملية التدريسية على مبدأ الثواب والعقاب ويكون ذلك كما يقول: "بالترغيب والترهيب، وبالإعراض والإقبال وبالحمد مرة والتوبيخ مرة أخرى ما كان كافيا، والضرب بعد الترهيب فإن احتاج إلى الاستعانة باليد لم يُحجم عنه وليكن أو الضرب قليلً موجعا".(١١)

بقي لنا أن نختم هذا المحور ببيان مهنة التدريس عند نموذج أخر من فلاسفة الإسلام غير أن هذا النموذج هذه المرة يُمثّل عددا من فلاسفة الاسلام ألَّفوا جماعة سرية، أُطلق عليها جماعة "إخوان الصفا" ولقد اعتنقوا مذهبًا سياسيًّا، ويُقال إنهم من الباطنية(*) وكان ظهورهم في البصرة بالعراق في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، ويُنسَب إليهم كتابُ (رسائل إخوان الصفا) والمُدقق في هذه الرسائل يُلاحظ اهتمام جماعة إخوان الصفا بمهنة التدريس.

ويُمكننا تلمس مظاهر هذا الاهتمام من خلال هذه الرسائل وذلك من خلال تأكيد "إخوان الصفا" على أهمية وخطورة مهنة التدريس من خلال ما تبُثه من أفكار في نفوس الطلاب وفي ذلك الصدد يقولون: "واعلم أنّ مَثَل أفكار النفوس قبل أن يحصل فيها علم من العلوم واعتقاد من الآراء، كمَثَل ورقٍ أبيض نقي لم يُكتَب فيه شيء، فإذا كُتب فيه شيء حقًّا كان أو باطلًا، فقد شغل المكان، ومَنَع أن يُكتَب فيه شيء آخر، ويصعب حكُّه ومحوه". (١٢)

وفي اشارة أخرى لبيان مظاهر اهتمام جماعة "إخوان الصفا" بمهنة التدريس نجدهم يذهبون إلى أن تحصيل المعارف ليس بوسع كل إنسان لذا لابد من وجود مُعلم أو مُدرس تؤخذ منه المعارف ومن أجل هذا كما يقول "إخوان الصفا": "يحتاج كلُّ إنسانٍ إلى مُعلم أو مؤدِّب أو أستاذ، في تعلُّمه وتخلُّقه وأقاويله واعتقاده وأعماله وصنائعه".(١٣)

وفي إشارة أخيرة لبيان اهتمام "إخوان الصفا" بمهنة التعليم نجدهم يضعون مجموعة من الصفات والسمات ينبغي أن تتوافر في القائمين على مهنة التدريس وفي هذا الصدد يقولون:" واعلم أيها الأخ أن من سعادتك أيضاً أن يتفق لك مُعلم ذكي، جيد الطبع، حسَن الخلق صافي الذهن، مُحب للعلم، طالب للحق، غير متعصب لمذهب من المذاهب". (١٤)

بعد هذا العرض الذي أفردناه حول مهنة التدريس عند بعض نماذج من فلاسفة الإسلام اتضح لنا مما لا يدع مجالا للشك عناية فلاسفة الإسلام بالكتابة عن مهنة التدريس والقائمين عليها

وما لهما من حقوق, وما عليهما من واجبات, وأفردوا قسطا وافرا للحديث عن الصفات أو السمات التي يجب أن يتحلى بها القائمين بهذه المهنة.

ثانيا:- مهنة التدريس عند المُتكلمين

يُعد علم الكلام أولى اللبنات في صرح بُنيان التفكير الفلسفي في الإسلام، والمُدقق في أبحاث المُتكلمين ومؤلفاتهم يلحظ أنها تدور حول ثلاثة أقسام رئيسية: الإلهيات، والنبوات، والسمعيات، غير أن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن الآن – وفقا لطبيعة وغايات هذا البحث- هل ترك لنا المُتكلمون موروثا يدل على اهتمامهم بمهنة التدريس أم أنهم اكتفوا بالبحث في الأقسام سالفة الذكر؟ والإجابة على هذا السؤال تجرنا للحديث إلى أنه قد صاحب نشأة علم الكلام مجد الحضارة الإسلامية وعنفوانها وأوج ازدهارها الثقافي والمعرفي خاصة في عصر"الخليفة المأمون"(٧٨٦-٨٣٣م) والذي انتشرت في عهده طرق البحث والتدريس ووسائل الإقناع لاسيما بعد ترجمة منطق أرسطو والذي تضمّن العديد من القوانين والتي لم يعرفها المُتكلمون على مستوى مناهجهم، وطرقهم البحثية في العلوم.

وقد ترتب على ما سبق مزيد العناية بمهنة التدريس والتي كانت تهدف من ورائها أن تقوم كل فرقة كلامية بتدريس وتعليم أنصارها كيفية مناظرة أفكار الخصوم ومُقارعتهم فشهدت المهنة أوسع معانيها وأبعد مُستوياتها.

ولقد كان لفرقة المعتزلة النصيب الأكبر في العناية بمهنة التدريس، فلقد سعى رجالها في بناء رؤية كلامية واضحة حول تحديد المناهج الأساسية في مهنة التدريس والمواد الدراسية التي من الواجب على طالب العلم دراستها بالإضافة إلى حديثهم عن السمات الواجب توافرها في القائمين على هذه المهنة.

ولذا سيقوم الباحث بدوره في هذا المحور بعرض آراء نموذجا من أهم رجالها وهو "أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ"(٢٥٥-١٥٩ه) لبيان مظاهر اهتمام المُتكلمين بصفة عامة بمهنة التدريس، وفي هذا الصدد يُمكننا القول:

يُعد "الجاحظ" واحدا من أهم مُتكلمي الإسلام عامة عناية بالحديث عن مهنة التدريس، فلقد أفرد لها قسطاً وافرا من مؤلفاته ورسائله بل نجده يُخصص مؤلفا من مؤلفاته عالج فيه بأسلوبه الأدبي والفلسفي جوانب شتى تخص هذه المهنة وهو كتاب (المُعلمين).

والمُتصفح في هذا الكتاب(*) يجد أنه عبارة عن مقدمة وبابين تعرّض "الجاحظ" في المقدمة لبيان الأسباب التي دفعته إلى تأليف هذا الكتاب أمّا عن الباب الأول، فقد أسهب فيه "الجاحظ" في بيان أهمية المُعلمين أو المُدرسين، وفي الباب الثاني نجده يقترح منهجا تدريسيا يُقدّمه للقائمين

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٣

على مهنة التدريس من مُعلمين ومُدرسين ومؤدبين، وسنقوم بدورنا في هذا المحور بتسليط الضوء حول أهم ما جاء في هذا الكتاب من آراء وأفكار تنُم عن اهتمام "الجاحظ" بمهنة التدريس والقائمين عليها.

وأولى هذا الآراء هي تلك الدوافع التي حركت "الجاحظ" لتأليف هذا الكتاب وقد ضمّنها في مقدمة هذا الكتاب والتي تتلخص في رغبته في رفع الظلم الذي لحق بالقائمين على مهنة التدريس وذلك نتيجة تحامل المعاصرين عليهم وتحقيرهم وذمهم لهم جاهلين أو مُتجاهلين أهمية تلك الفئة الاجتماعية (فئة المُدرسين) ويعود هذا التحامل من وجهة نظر "الجاحظ" إلى جهل هؤلاء المعاصرين وعدم إنصافهم فقد أقاموا موقفهم هذا كما يُشير "الجاحظ" على الهوى دون تفكر أو تثبُت يُحركهم في ذلك غضبهم وحقدهم على فئة المُعلمين ولذلك رأى "الجاحظ" أن من واجبه إبطال حجج الذامين للقائمين على مهنة التدريس من ناحية وإظهار محاسن المُعلمين وفضائلهم الخلُقية من ناحية أخرى. (١٥)

أما عن ثاني الآراء التي تنُم عن اهتمام "الجاحظ" بمهنة التدريس فهو تأكيده على أهمية المُعلمين أو المُدرسين والدليل على ذلك من وجهة نظره استعانة الملوك بهم في تأديب أبنائهم، وما قلّدوهم تلك المهمة كما يقول "الجاحظ": "إلا بعد أن ارتفع إليهم في الخبر حالهم في الأدب وبعد أن كشفهم الامتحان"(١٦)وفي إشارة أخرى لبيان أهمية المُعلمين أو المُدرسين عند "الجاحظ" نجده يذهب إلى إبراز دور المُدرسين في تعليم الكتابة والتي لولاها لضاعت كنوز الحكمة والعلم والأدب.(١٧)

ويستطرد "الجاحظ" في بيان أهمية القائمين على مهنة التدريس بإشارته إلى أن هناك عدد كبير من أصحاب العلوم المُختلفة يعملون بهذه المهنة وفي هذا الصدد يقول: "وأنت حفظك الله لو استقصيت عدد النحويين والعروضيين والرواة والقضاء والحكماء ومن كبار الكُتاب والشعراء والوزراء والأدباء لوجدت أكثرهم مؤدب كبار أو مُعلم صغار"(١٨)وبناءً على ذلك فإن حاجة الناس إلى المُعلمين أو المُدرسين كما يؤكد "الجاحظ" في كل مناحي الحياة.(١٩)

وهنا تجدر الإشارة إلى أنه بالرغم من أن "الجاحظ" قد أسهب في الثناء على القائمين على مهنة التدريس إلا أنه في كتابه (البيان والتبيين) باب في (ذكر المُعلمين) يؤكد على أن القائمين على هذه المهنة كغيرهم من القائمين على المهن الأخرى ففيهم الحاشية والسفلة وفيهم الخاصة والعلّية فالمعلِّمون عند "الجاحظ" كما يقول: "على ضربَين؛ منهم رجالٌ ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلى تعليم أولاد الخاصة، ومنهم رجالٌ ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة إلى تعليم أولاد الملوك أنفسهم المرشَّحين للخلافة، وأشباه هؤلاء لا يُقال لهم حَمْقى؟ ولا يجوز هذا القول على

هؤلاء ولا على الطبقة التي دونهم؛ فإن ذهبوا إلى مُعلمي كتاتيب القُرى فإن لكل قوم حاشيةً وسفلة، فما هم في ذلك إلا كغيرهم".(٢٠)

أما عن ثالث الآراء والتي تؤكد على اهتمام "الجاحظ" البالغ بمهنة التدريس، فهي تتمثل في وضعه منهجا تدريسيا للقائمين على هذه المهنة من المُعلمين والمُدرسين ينبغي أن يسيروا عليه في تدريسهم للصبيان، ومن خلال استقرائنا لكتاب المُعلمين نستطيع أن نستشف أركان هذا المنهج التدريسي والذي يشتمل على قواعد عديدة من أهمها:

أولا- المواد التي يجب أن يُدرّسوها للطلبة والمواد التي يجب أن يبتعدوا عنها، وفي هذا الصدد يقول "الجاحظ": ولا تُشغل قلب الصبي بالنحو إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام...وما زاد عن ذلك فهو مشغلة عمّا هو أولى به....ويُعرّف بعض الحساب دون الهندسة والمساحة ويُعلّم كتابة الانشاء بلفظ سهل وعبارة حلوة ويحثُه في قراءة كتب البلغاء أن يستفيد المعاني لا الألفاظ". (٢١)

ثانيا- ومن القواعد المنهجية التي وضعها "الجاحظ" للقائمين على مهنة التدريس هي حرصهم على إبعاد الطلاب عمّا يصرف قلوبهم عن الفهم أثناء التدريس، والمُعلمون أو المُدرسون في هذه المهمة كما يقول "الجاحظ": "أشقى بالصبيان من رعاة الضأن وروّاض المهارة ولو نظرت من جهة النظر علمت أن النعمة فيهم عظيمة والشكر عليها لازم." (٢٢)

ثالثا- أما عن القاعدة الثالثة من قواعد المنهج الجاحظي للعملية التدريسية -والتي ضمّنها في العديد من رسائله ومؤلفاته - فتكمُن في حث "الجاحظ" للقائمين على مهنة التدريس أن يغرسوا في الصبيان الاعتماد على العقل في تحصيل معارفهم، فلقد صدّر رسالته (في المعاد والمعاش) بقوله: "فإنما حُمدت العلماء بحسن التثبُت في أوائل الأمور واستشفافهم بعقولهم ما تجئ به العواقب"(٢٣) وفي كتابه (فلسفة الجد والهزل) ذهب إلى القول:"...وكما أنه على قدر غريزة العقل تصُح الجوانح وتسلم".(٢٤)

ولقد أسهب "الجاحظ" في عرض هذه القاعدة -إعلاء سلطة العقل- من قواعد منهجه في العملية التدريسية في كتابه (المُعلمين) حيث نجده يعقد مقارنة بين الحفظ من ناحية والاستنباط من ناحية أخرى مؤكدا على أن الحفظ بدون نظر واستنباط يعنى اغفال العقل عن التمييز وعدم الوصول إلى المعاني، ومن كانت هذه صفاته يبقى مُقلدا وفي حيرة من أمره إذ الاستنباط والاستنباط فقط هو الذي يفضي بصاحبه إلى برد اليقين وعز الثقة كما يقول "الجاحظ".(٢٥)

وهذا ليس بغريب على رجل لا نقول فحسب أنه ينتمي إلى تيار المعتزلة بل هو أحد أهم رجال طبقتها السابعة(*) ذلك التيار الذي أطلق للعقل "العنان في البحث في جميع المسائل من غير

أن يحدّه أي حد، وجعلوا له الحق في أن يبحث في السماء، وفي الأرض، وفي الله تعالي، وفي الإنسان، وفيما دق وجل".(٢٦)

رابعا- أمّا عن القاعدة الرابعة والأخيرة من قواعد المنهج التدريسي عند الجاحظ فتكمُن في دعوته للقائمين على مهنة التدريس بالاهتمام بالمعاني لا على الألفاظ، فالألفاظ في نظره تابعة للمعاني خاضعة لها بل إن وجود الألفاظ ما هو إلا نتيجة لوجود المعاني، فالاهتمام بالألفاظ لذاتها قبل المعنى يؤدي بلا شك إلى الاضطراب في مبنى الكلام.(٢٧)

ويختم "الجاحظ" (كتاب المُعلمين) بمجموعة من النصائح للقائمين على مهنة التدريس هذه النصائح من شأنها إثراء العملية التدريسية وضمان نجاحها وتحقيق الأهداف المرجوة منها ومن أهم هذه النصائح الجاحظية للقائمين على العملية التدريسية أن يراعوا القدرات الذهنية للصبيان؛ فمتى ثقُل الدرس كما يقول "الجاحظ": "تثاقلت النفس وتقاعست الطبيعة"(٢٨) ومن ثَم عليهم أن يبسُطوا لهم الشرح بلغة مفهومة بعيدة عن التكلف وفي هذا الصدد يقول "الجاحظ": "فاختر من المعاني ما لم يكن مستورا باللفظ المُنعقد مُفرقا".(٢٩) ومن نصائح "الجاحظ" أيضا للقائمين على مهنة التدريس أن يُعاملوا طلابهم بلطف ومحبة يتوصلون بهما إلى قلوبهم في تلقين المادة الدراسية، وعدم إكراههم على شيءٍ لئلا يمقتوا محاسن الأخلاق، وعدم إهمالهم؛ لأنهم جديرون بكل عناية وأشدّ اهتمام، وفي هذا الصدد يقول "الجاحظ":..فإني أرى أن لا تستكرهه فتُبغض إليه الأدب ولا تُهمله فيعتاد اللهو."(٣٠) وتجدر الإشارة إلى أن "الجاحظ" قد أفرد مساحة في كتاب (المُعلمين) لإبراز الأهداف العملية للعملية التدريسية، ومن أهمها إعداد الصبي وتهيئته للعمل في صحبة السلطان، والحفاظ على التراث الفكري والأدبي وفي تنشئة الصبي تنشئة صالحة تجعله فردا صالحا في المجتمع.(٣١)

بعد هذا العرض الذي أفردناه حول مهنة التدريس عند "الجاحظ" كنموذجا من نماذج مُتكلمي الإسلام اتضح لنا مما لا يدع مجالا للشك عنايته بمعالجة مسائل شتى تخص هذه المهنة تأتي على صدارة هذه المسائل دفاعه عن القائمين على هذه المهنة من المُدرسين والمُعلمين ولا يكتفي "الجاحظ" بالدفاع عنهم فحسب بل يصوّر الجاحظ القائمين على هذه المهنة كما يقول البعض على أنهم مُثابرون ومُجِدّون، ويكابدون المشاقّ. (٣٢)

ثالثا: مهنة التدريس عند المُتصوفة

يُعد التصوف واحدا من أهم مظاهر التفكير الفلسفي في الإسلام وهو جزء لا يتجزأ من تاريخ هذا التفكير، وإذا كنّا قد أشرنا في المحورين السابقين من هذا البحث إلى عناية فلاسفة ومُتكلمي الإسلام بمهنة التدريس، فإننا نجد مُتصوفي هذا التفكير كانوا أشد عناية بهذه المهنة عن غيرهم، فلقد أفردوا للحديث عن جوانب شتى تخص هذه المهنة العديد من مؤلفاتهم ورسائلهم، وتأتي على صدارة هذه الجوانب اهتمام المُتصوفة ببيان العلاقة القائمة بين طرفي مهنة التدريس، المُدرس وهو ما أطلق عليه الصوفية لقب (الشيخ)- وهو الذي يتولى عملية التدريس- والطالب أو ما أطلق عليه المُتصوفة لقب (المُريد) والمُريد لقب صوفي يُطلق على الطالب أو المبتدئ.

لقد وضع المُتصوفة قواعد خاصة لمهنة التدريس حسب منهجهم الصوفي فحددوا أهدافاً وطُرقا خاصة لهذه المهنة، ووضعوا شروطًا للقائمين عليها وحددوا لهم واجبات ووظائف تجاه طلابهم، وقد بدأ رسم ملامح هذه المهنة منذ وقت مُبكر منذ بداية ظهور الفكر الصوفي على أرجح الأقوال مع نهاية القرن الثالث الهجري(*)وقد بلغ الاهتمام بمهنة التدريس في الفكر الصوفي مداه مع حلول القرن الخامس الهجري حيث تم تأسيس العديد من المراكز والمؤسسات الخاصة التي يتجمع فيها شيوخ الصوفية مع طلابهم أو مُريدهم للتدريس والتعليم، ومن أهم هذه المؤسسات "الخوانق" وهي جمع كلمة خانقاه وهي لفظة فارسية تعني المكان الذي ينقطع فيه المتصوف للعبادة(٣٣)، وقد أشرف على هذه الخوانق ثلة من شيوخ الصوفية وكانوا يُزاولون فيها مهنة التدريس والتعليم للمُريدين.

ولقد اصطبغ المنهج الصوفي بخصائص وسمات تخُص مهنة التدريس ميّزته عن غيره من المناهج ومن أهم هذه السمات وجوب اتخاذ الشيخ للتدريس لتيسير الوصول إلى المعارف، فالخطوة الأولى لحصول المُريد على المعرفة هو أن يتخذ له شيخا وفي هذا الصدد يقول"القشيري"(٤٦٥-٣٧٦ه):"ثم يجب على المُريد أن يتأدب بشيخ فإن لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان".(٣٤)

فالتعلم الذاتي، وعدم الاعتماد على موجّه أو دليل كما يقول البعض "مرفوض في الفكر الصوفي، فيجب على المُريد أن يتخذ شيخا لا يحيد عنه، ولا يلتفت إلى غيره، بل ولا يجوز له أن يطلب العلم من غيره".(٣٥)

وهنا تتضح الرابطة القوية والصلة الوثيقة التي تجمع بين القائم بعملية التدريس وهو الشيخ وبين المُتلقي لهذه العملية وهو الطالب أو المُريد بلغة المُتصوفة.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٣

لقد اهتم العديد من الأعلام ممّن ينتسبون للمنهج الصوفي بمهنة التدريس ووضعوا لها العديد من الأسس التي ينبغي أن تقوم عليها، ولا يسع المقام هنا بعرضهم جميعا، وبناءً عليه وطبقا للغايات والأهداف المرجوة من هذا البحث سنقوم بدورنا في هذا المحور بإلقاء الضوء على نموذجاً من صوفية الإسلام ممُن كانت لهم بصمات واضحة في هذا الصدد، وهو الإمام أبو "حامد الغزالي"(٥٠٥-٤٥٠ه)، والذي كان له اهتماماً واضحاً بمهنة التدريس، فلقد فطن إلى أهمية هذه المهنة وأعلى من قدر القائمين عليها وعظّم من شأن المهام والمسؤولية المُلقاة على كاهلهم لاشتغالهم بمهنة التدريس، وهذا ليس بغريب على رجل تقلّد هذه المهنة بالمدرسة النظامية المؤسسة حديثاً آنذاك- والتي تُعد من أشهر مؤسسات التعليم العالي في بغداد وربما العالم الإسلامي كله في القرن الحادي عشر- ولذا جاءت أفكاره التدريسية كما يقول البعض "تفصح عن خبرة حقيقية، وتُبرز التجربة التدريسية لأستاذٍ مرموق، ولا تقتصر على أقوال شائعة أو أفكار مثالية لعالم متدين". (٣٦)

لقد خلّف لنا "الغزالي" العديد من المُصنفات والرسائل والتي أفردت لنا الحديث عن جوانب شتى تخص مهنة التدريس غير أنه وضع رؤية مُتكاملة في عُمدة مؤلفاته (إحياء علوم الدين) للحديث عن قيمة هذه المهنة وآدابها وشروطها وأهم الوسائل التدريسية وواجبات ووظائف القائمين عليها، وسنقوم بدورنا الآن وطبقا للغايات المرجوة من هذا البحث بعرض أهم النقاط التي جاءت في رؤيته هذه تجاه مهنة التدريس، والتي تنُم عن بالغ اهتمامه بهذه المهنة.

وأولى هذه النقاط هي تلك الأهداف التي وضعها "الغزالي" للعملية التدريسية والتي ضمّنها في كتابه(إحياء علوم الدين) والتي تتجلّى في أن الهدف الرئيسي وراء هذه العملية هو كما يقول "الغزالي": "هو التقرب الى الله دون الرئاسة والمُباهاة"(٣٧) فالعلم وتدريسه هما السبيل للسعادة في الدنيا والآخرة وفي هذا الصدد يقول:...إذا نظرت إلى العلم وجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها وذريعة إلى القرب من الله تعالي.... فإن العلم إذا كان أفضل الأمور كان تعلمه طلبا للأفضل فكان تعليمه أو تدريسه- إفادة للأفضل".(٣٨)

أمّا عن النقطة الثانية من هذه الرؤية المُتكاملة التي وضعها "الغزالي" لمهنة التدريس، فتكمُن في هذه الواجبات أو المهام والوظائف التي وضعها "الغزالي" على كاهل القائمين على هذه المهنة، وفي هذا الصدد يُمكننا القول:

لقد أعلى "الغزالي" من قيمة المُدرسين أو المُعلمين مُشيرا إلى أن من أشتغل بمهنة التدريس وعلّم الناس فهو الذي كما يقول "الغزالي" يُدعى عظيماً في ملكوت السموات فإنه كالشمس تضيء لغيرها وهي مُضيئة, وكالمسك يُطيب غيره وهو طيب"(٣٩)، وبناءً على هذه المكانة، فمن تقلّد هذه

المهنة واشتغل بالتدريس، فقد تقلد كما يقول "الغزالي": أمراً عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه".[٤٠]وقد أجمل الغزالي هذه الوظائف في ثمان وظائف[*] هي على النحو التالي:

(١) الشفقة على المُتعلمين، وأن يُجريهم مجرى أبناؤه.

(٢) أن يقتدي بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه، فلا يطلب على تدريس أو إفادة العلم أجرا ولا يقصد به جزاء ولا شكرا بل يُدرس ويُعلّم لوجه الله تعالى وطلباً للتقرب إليه ولا يرى لنفسه منّة عليهم.

(٣) ألا يدع من نُصح المُتعلم شيئًا، ثم يُنبهه على أن الغرَض بطلب العلوم القُرب إلى الله تعالى دون الرياسة والمنافسة والمباهاة.

(٤) أن يزجر المُتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن، ولا يُصرِّح، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ.

(٥) أن المُتكفل بتدريس بعض العلوم ينبغي ألا يُقبِّح في نفس المُتعلم العلوم التي وراءه، كمُعلم اللغة إذ عادته تقبيح علم الفقه.

(٦) أن يقتصر بالمُتعلم على قدْر فهمه، فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله فيُنفّره أو يُخبّط عليه عقله.

(٧) أن المُتعلم القاصر ينبغي أن يُلقي إليه الجلي اللائق به، ولا يُذكر له أن وراء هذا تدقيقًا وهو يدَّخِره عنه؛ فإن ذلك يُفتِّر رغبته في الجَلي، ويشوِّش عليه قلبه ويوهم إليه البخل به عنه.

(٨) أن يكون المُعلم عاملًا بعِلمه، فلا يُكذِّب قوله فعله.

أمّا عن النقطة الثالثة من رؤية الغزالي تجاه مهنة التدريس، فقد ضمّنها في كتابه (خلاصة التصانيف) وهي الشروط الواجب توافرها في القائم على مهنة التدريس، وهي أن يكون عالما، وليس كل عالم يصلح للتدريس أو الارشاد كما يقول "الغزالي"، بل لابد أن يكون عالماً له أهليّة صناعة التدريس والإرشاد مع تأكيد "الغزالي" على ضرورة اتصاف الشيخ أو القائم على مهنة التدريس بالسيرة الحسنة والأخلاق المحمودة، المتضمنة للصبر والشكر والتوكل واليقين والطمأنينة والسخاء والقناعة والحلم والتواضع والمعرفة والصدق والوفاء والحياء والسكون والتأني.[٤١]

أمّا عن النقطة الرابعة من رؤية "الغزالي" تجاه مهنة التدريس فتكمُن في أساليب الغزالي المُقترحة للعملية التدريسية، وفي هذا الصدد يُنبه "الغزالي" على التفرقة بين أساليب تدريس الكبار وأساليب تدريس الصغار نظرا لاختلاف درجة الإدراك بينهما ومن خلال استقرائنا لكتاب (إحياء الدين) نجد "الغزالي" قد نوه للقائمين على مهنة التدريس على مجموعة من الأساليب التدريسية ومن أهمها:

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٣

أسلوب الأبوة الحانية والذي بدوره يتحول المُعلم أو المُدرس من مُجرد قائم على مهنة الى أب حنون في تدريسه مع الطلاب.(٤٢)

أسلوب اللعب والترويح عن النفس وفي هذا الصدد يقول "الغزالي": "وينبغي أن يؤذن للصبي بعد الانصراف من الكُتاب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب فإن مُنع الصبي من اللعب وارهاقه إلى التعلم دائما يُميت قلبه ويُبطل ذكاءه ويُنغّص عليه العيش والإثارة وحفز الدافعية الذي يعني حمل المتعلم على حب التعلم والجد فيه بوساطة المدح والتشجيع وإشباع ميوله الى اللعب".(٤٣)

ومن الأساليب الأخرى الفعالة التي اقترحها "الغزالي" في مهنة التدريس اسلوب التدرج والذي يقوم على مراعاة سن المُتعلم وقدراته في تلقي العملية التدريسية.(٤٤)

ومن الأساليب التدريسية الأخرى التي حث عليها "الغزالي" أسلوب القدوة الحسنة اذ يطالب الغزالي المُعلم أن يكون في مهنته التدريسية قدوة لطلابه وذلك من خلال تطابق ما يقوله مع ما يفعله.(٤٥)

وأخيرا من الأساليب التدريسية التي حث عليها "الغزالي" أسلوب الثواب والعقاب وفي هذا الصدد يقول "الغزالي": ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يُكرّم عليه ويُجازى عليه بما يفرح به ويُمدح بين أظهر الناس فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره". (٤٦)

أمّا عن النقطة الخامسة والأخيرة من رؤية "الغزالي" المُتكاملة تجاه مهنة التدريس فتكمُن في المنهج التدريسي الذي اقترحه لطلاب العلم موصيا القائمين على مهنة التدريس باتباعه والذي بناه كما يشير البعض(٤٧) بحسب أهمية العلوم إلى علوم دينية وهي القرءان الكريم والحديث والفقه والتفسير والسيرة، وعلوم لغوية وهي النحو ومخارج الحروف والألفاظ وتخدم علوم الدين، علوم الكفاية مثل الطب والحساب والسياسة والصناعات المختلفة، وعلوم علوم ثقافية كالتاريخ والشعر.

وهنا نود أن نشير إلى نقطتين، الأولى أنه من المُلاحظ في ذلك المنهج التدريسي الذي اقترحه "الغزالي" أن أولى خطوات هذا المنهج أن يدرس الطالب الإلهيات وذلك لأن أشرف العلوم العلم بالله تعالى غير أن هذا لا يعني أن "الغزالي" يزدري سائر العلوم؛ وإنما يجعلها أدنى مرتبة فهو يمدح المشتغلين بها ويشبههم كما يقول البعض: "بالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة المجاهدين".(٤٨)

أمّا عن النقطة الثانية فهي أن الغزالي قد صرح في كتابه (الرسالة اللدنية) [٤٩] إلى أن الإنسان لا يقدر أن يدرس جميع الأشياء الجزئيات والكليات، وجميع العلوم؛ بل يدرس شيئًا، ويستخرج بالتفكُّر من العلوم شيئًا، وإذا انفتح باب الفكر على النفس علمت كيفية طريق التفكُّر، وكيفية الرجوع بالحدس إلى المطلوب وهنا يتبين لنا تغلغل المنهج الصوفي عند أبي حامد الغزالي.

بعد هذا العرض الذي أفردناه حول مهنة التدريس عند "الغزالي" كنموذجا من نماذج صوفية الإسلام اتضح لنا مما لا يدع مجالا للشك عنايته بمعالجة مسائل شتى تخص هذه المهنة وتأتي على صدارة هذه المسائل الواجبات أو الوظائف التي وضعها على كاهل القائمين على هذه المهنة، وإعلاؤه من قيمة المُدرسين أو المُعلمين.

الخاتمة ونتائج البحث

لقد قادنا هذا التحليل إلى مجموعة من النتائج يُمكن اجمالها على النحو التالي:

أولا:- لقد كان لفلاسفة الإسلام بصمات واضحة في مهنة التدريس وذلك من خلال تصوراتهم في تطوير أساليب هذه المهنة وبيان الغايات منها وطرق تحقيقها بالوسائل الواضحة والمناسبة، وسلوكيات القائمين عليها والآداب الواجب توافرها فيهم.

ثانيا:- يُعد "الفارابي" واحدا من أبرز فلاسفة الإسلام اهتماما بالحديث عن مهنة التدريس وقد كان له السبق من بين فلاسفة الإسلام في عمل منهجا مُتكاملا لتدريس العلوم باستخدام مختلف وسائل الإيضاح مثل الترتيب والتصنيف والاستقراء والتمثيل والقياس؛ فهذه كلها تساعد التلميذ على التآلف مع موضوع الدراسة، وتسهّل عليه فهمه.

ثالثا:-كان لمهنة التدريس حظاً وافرا من اهتمامات "ابن سينا" ويشهد على ذلك إنتاجه الفكري خاصة كتاب (السياسة) والذي وضع فيه منهجا دقيقا للعملية التدريسية مؤكدا على منافع عديدة جراء أن يكون تدريس الطلاب جماعي وليس فردي مُشيرا إلى مجموعة من السمات التي ينبغي أن تتوافر في القائمين على مهنة التدريس ولم يفُته أن يحُث في العملية التدريسية على مبدأ الثواب والعقاب ومراعاته لميول الصبي في دراسته.

رابعا:- اهتمام جماعة إخوان الصفا بمهنة التدريس وذلك من خلال تأكيدهم على أهمية وخطورة ما تبُثه هذه المهنة من أفكار في نفوس الطلاب مُشيرين إلى أن تحصيل المعارف ليس بوسع كل إنسان لذا لابد من وجود مُعلم أو مُدرس تؤخذ منه المعارف.

خامسا:- شهدت مهنة التدريس عناية الفرق الكلامية والتي كانت تهدف من ورائها أن تقوم كل فرقة كلامية بتدريس وتعليم أنصارها كيفية مناظرة أفكار الخصوم ومُقارعتهم ولقد كان لفرقة المعتزلة النصيب الأكبر في العناية بهذه المهنة.

سادسا:- يُعد "الجاحظ" واحدا من أهم مُتكلمي الإسلام عامة عناية بالحديث عن مهنة التدريس، فلقد أفرد لها قسطاً وافرا من مؤلفاته ورسائله لاسيما كتابه (المُعلمين) والذي حاول فيه رفع الظلم عن القائمين على هذه المهنة مؤكدا على أهميتها مُستدلا على ذلك بان هناك عدد كبير من أصحاب العلوم المُختلفة يعملون بهذه المهنة وقد اقترح منهجا تدريسيا للقائمين عليها.

سابعا:- لقد كان مُتصوفي الإسلام أشد عناية بمهنة التدريس عن غيرهم، فلقد أفردوا للحديث عن جوانب شتى تخص هذه المهنة العديد من مؤلفاتهم ورسائلهم، وتأتي على صدارة هذه الجوانب اهتمام المُتصوفة ببيان العلاقة القائمة بين طرفي مهنة التدريس، المُدرس (الشيخ) والطالب (المُريد).

ثامنا:-وضع المُتصوفة قواعد خاصة لمهنة التدريس حسب منهجهم الصوفي فحددوا أهدافًا وطُرقا خاصة لها ووضعوا شروطًا للقائمين عليها وحددوا لهم واجبات ووظائف تجاه طلابهم مؤكدين على وجوب اتخاذ الشيخ للتدريس لتيسير الوصول إلى المعارف.

تاسعا:-لقد خلّف لنا "الغزالي" العديد من المُصنفات والرسائل والتي أفردت لنا الحديث عن جوانب شتى تخص مهنة التدريس غير أنه وضع رؤية مُتكاملة في عُمدة مؤلفاته (إحياء علوم الدين) للحديث عن قيمة هذه المهنة وآدابها وشروطها وأهم الوسائل التدريسية وواجبات ووظائف القائمين عليها.

الهوامش

(*) أنظر الترمذي:- سنن الترمذي (الجامع الكبير)، المجلد الرابع، أبواب العلم، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٦، رقم الحديث ٢٦٨٥، ص٤١٦.

(١) الفارابي:- إحصاء العلوم، تحقيق د/عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٨، ص١٨.

(*) للمزيد من الاطلاع على أثر كتاب إحصاء العلوم للفارابي في العالم الإسلامي والغربي أنظر مقدمة دكتور عثمان أمين في تحقيقه لهذا الكتاب ص١٨-٢٨.

(٢) الفارابي:- المنطق، كتاب البرهان، تحقيق ماجد فخري، دار المشرق، بيروت، لبنان، ١٩٨٧، ص١٧-٧٨، وأنظر أيضا سيبستيان غونتر: أراء علماء المسلمين القدماء في التربية، مجلة التفاهم، العدد٥١،وزارة الاوقاف والشئون الدينية، سلطنة عمان، ٢٠١٦، ص٢٣٣.

(٣) الفارابي:- الألفاظ المستعملة في المنطق، تحقيق محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ص٨٦.

(٤) نفس المصدر السابق:- ص٨٦.

(*) الفارابي:- الألفاظ المستعملة في المنطق، ص٨٧، وأنظر أيضا سيبستيان غونتر: أراء علماء المسلمين في التربية، ص٢٣٦.

(٥) ابن سينا:- كتاب السياسة، تقديم وتعليق علي محمد إسبر، بدايات للطباعة والنشر، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، ص٨٤

(٦) كتاب السياسة:- ص٨٤.

(٧) كتاب السياسة:- ص٨٥.

(٨) المصدر السابق:- ص٨٥.

(٩) كتاب السياسة:- ص٨٦

(١٠) نفس المصدر السابق:- ص٨٧.

(١١) كتاب السياسة:- ص٨٣.

(*) أنظر د/ أحمد فؤاد الأهواني:- في عالم الفلسفة، مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٣، ص٨٧.

(١٢) رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء:- الجزء الرابع، عنى بتصحيحه خير الدين الزركلي، المطبعة العربية، مصر، ١٩٣٨، ص١١٤.

(١٣) رسائل إخوان الصفا، الجزء الرابع، ص١٨.

(١٤) رسائل إخوان الصفا، الجزء الرابع، ص١٨.

(*) الجاحظ:- كتاب المُعلمين، تحقيق إبراهيم خليل جريس، مكتبة ومطبعة السروجي، عكا، فلسطين، ١٩٨٠، ص٢٦-٧٨

(١٥) كتاب المُعلمين، ص٢٦.

(١٦) كتاب المُعلمين، ص٦٣.

(١٧) كتاب المُعلمين، ص٥٦.

(١٨) كتاب المُعلمين، ص٦٣، ٦٤.

(١٩) كتاب المُعلمين، ص٦٤.

(٢٠) الجاحظ:- البيان والتبيين، تحقيق حسن السندوبي، الناشر مؤسسة هندواي، ٢٠١٧، ص١٨٣.

(٢١) كتاب المُعلمين، ص٧٣-٧٥.

(٢٢) كتاب المُعلمين، ص٦١.

(٢٣) رسائل الجاحظ، الجزء الرابع، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجبل، بيروت، ص٦٩.

(٢٤) الجاحظ:- فلسفة الجد والهزل، تقديم الشيخ محمد على الزغبي، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ص١١١.

(٢٥) كتاب المُعلمين، ص٣٥، ٦٢.

(*) أنظر القاضي عبد الجبار، أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن الخليل بن عبد الله المعتزلي(٤١٥ه): فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة. تحقيق فؤاد سيد. تونس، الدار التونسية للنشر، ص٢٧٥، ١٩٧٤.

(٢٦) أحمد أمين: ضحى الإسلام، الجزء الثالث، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة العاشرة، ١٩٣٦، ص٦٨.
وأنظر أيضا أبو لبابه حسين: موقف المعتزلة من السنة النبوية وموطن انحرافهم عنها، دار اللواء للنشر، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية،١٤٠٧ه، ص٣.

(٢٧) كتاب المُعلمين، ص٤٣-٤٦.

(٢٨) الجاحظ:- فلسفة الجد والهزل، ص١١١.

(٢٩) كتاب المُعلمين، ص٧٥.

(٣٠) كتاب المُعلمين، ص٨٦، وأنظر أيضا سيبستيان غونتر: أراء علماء المسلمين القدماء في التربية، ص٢٣١.

(٣١) كتاب المُعلمين، ص٥٢.

(٣٢) سيبستيان غونتر:- أراء علماء المسلمين القدماء في التربية، ص٢٣١.

(*) أنظر إحسان إلهي ظهير:- التصوف والمنشأ والمصدر، لاهور، باكستان، الطبعة الأولى، ١٩٨٦، ص٤٠.

(٣٣) نفس المرجع السابق:- ص٤١.

(٣٤) عبد الكريم القشيري:- الرسالة القشيرية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٢، ص٤٢٦.

(٣٥) عبد الرحمن عبد الخالق:- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، مكتبة ابن تيمية، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤، ص٣١٤.

(٣٦) سيبستيان غونتر:- أراء علماء المسلمين القدماء في التربية، ص٢٤٢.

(٣٧) أبو حامد الغزالي:- إحياء علوم الدين، الجزء الأول، دار بن حزم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ه، ص٦٩.

(٣٨) نفس المصدر السابق:- ص٢٠.

(٣٩) أبو حامد الغزالي:- إحياء علوم الدين، الجزء الأول، ص٦٧، ٦٨.

(٤٠) نفس المصدر السابق:- ص٦٨.

(*) أنظر أبو حامد الغزالي:- إحياء علوم الدين، الجزء الأول، ص٦٨-٧١.

(٤١) أبو حامد الغزالي:- خلاصة التصانيف في التصوف، تعريب الشيخ محمد أمين الكردي، مطبعة النجاح، مصر، الطبعة الأولى، ص١٩.

(٤٢) أبو حامد الغزالي:- إحياء علوم الدين، الجزء الأول، ص٦٨.

(٤٣) أبو حامد الغزالي:- إحياء علوم الدين، الجزء الثالث، ص٧٣.

(٤٤) أبو حامد الغزالي:- إحياء علوم الدين، الجزء الثالث، ص٧٠.

(٤٥) أبو حامد الغزالي:- إحياء علوم الدين، الجزء الأول.

(٤٦) أبو حامد الغزالي:- إحياء علوم الدين، الجزء الثالث، ٧٣.

(٤٧) عبد الهادي أحمد عبد الكريم:- أشهر رواد الفكر التربوي في الشرق والغرب، بحث في مجلة المقدمة للدراسات الانسانية و الاجتماعية، العدد الثالث، جامعة أنجمينا – تشاد، ص٧

(٤٨) سيبستيان غونتر:- أراء علماء المسلمين القدماء في التربية، ص٢٤٤.

(٤٩) أبو حامد الغزالي:- الرسالة اللدنية، مطبعة كردستان العلمية، القاهرة، ١٣٢٨ه، ص٤٠، ٤١.